

سيكولوجية الإدراك البصري وفلسفة التمازج اللوني

في لغة الخطاب القرآني

✽ حسن محمد أحمد محمد (*)

باحث أكاديمي (السودان).

البريد الإلكتروني: tleap2@hotmail.com

تاريخ القبول: 2024/ 01/ 11

تاريخ الإرسال: 2023/ 01/ 21

الملخص:

قد لا يدرك الكثير من الناس أن للحواس، الظاهرة والمخفية، دوراً في غاية الأهمية في تحديد سلوك الفرد وبناء شخصيته، وتعتبر حاسة الإبصار هي واحدة من أهم الحواس التي ترسل بالإشارات البصرية إلى خلايا الدماغ، عبر الجهاز العصبي المركزي، حيث تتولى المراكز الإدراكية، في الدماغ، ترجمتها إلى سلوك حسي ملموس، وقد اهتمت هذه الدراسة بتناول الإدراك البصري كوسيلة إدراكية ذات انفعال وتفاعل عقلي ولكنها، في ذات الآن، لها انعكاساتها النفسية على النشاط السلوكي للشخصية وفلسفتها في الإدراك، من هذا الباب تمت دراسة الألوان والتمازج اللوني كمفردة

(*) المؤلف المرسل

خطابية ذات دلالات رمزية، حسية كانت أو معنوية، ورد ذكرها في أي القرآن العظيم.

وقد تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة وخاتمة بالإضافة إلى المباحث الرئيسة للدراسة وهي ثلاثة مباحث:

❖ الإدراك الحسي البصري.

❖ رمزية الألوان ودلالاتها.

❖ الألوان في أي القرآن.

الكلمات المفتاحية: أي القرآن، الحس البصري، فلسفة الألوان، التماذج اللوني.

المقدمة

حبا لله، تعالى، الطبيعة، بكل أنواعها، بالاختلاف الشكلي والتمازج اللوني الأمر الذي ساعد الإدراك البصري على التمييز بين أشكال وألوان تلك الموجودات المتنوعة الأشكال والألوان، يقول الشاعر:

دُرِّيَّة اللون فيه مُشْرِبَةٌ * حمرةُ خمِرٍ تمازج اللَّبَنَّا

كاللؤلؤ الرطب لونُ ظاهرِهِ * وفيه ماء العقيق قد بَطَّن¹

الأرضُ لا تُنكَرُ فَضْلَ السَّما * وَنُبْتُها من ماءها المستطابُ

وهذه الألوان في زهرها * قُسِمْنَ على ألوان قوسِ السحاب²

ومن المأثورات التاريخية القديمة أن الله قد قبض من جميع وجه الأرض من سباحها وبطائحها وأسودها وأحمرها قبضة، ...، فلذلك جاء ولد آدم على تلك الألوان أبيض وأسود وأحمر، كذلك، روي أن الله جمع في آدم المياه كلها³.

إلا أن النظر العلمي الفاحص ينبئنا بأن الاختلاف اللوني في جميع الكائنات ناجم عن نشاط الجينات الوراثية (الصبغيات) التي تتكون منها أجساد جميع الكائنات الحية وتنتقل، تلك الجينات الوراثية، من جيل إلى جيل عن طريق الوراثة، إذًا فعلى عاتق الجينات الوراثية، وحدها، تقع مسئولية التركيبة اللونية التي يختص بها كل كائن، والناظر إلى طبيعة

¹/ ديوان نصر الدين بن أحمد بن بن مأمون، ص: 432.

²/ علي بن محمد بن الرضا (ابن دفتر الأخوان)، ص: 3.

³/ مظهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، ص: 161.

النفس الإنسانية يجدها تفعل بذاتها من غير حاجة إلى البدن، لأن الإنسان إذا تصور بالعقل شيئاً فإنه لا يتصوره بآلة كما يتصور الألوان (Colours) بالعين والروائح بالأنف، فإن الجزء الذي فيه النفس من البدن لا يسخن ولا يبرد ولا يستحيل من جهة إلى أخرى عند تصوره بالعقل⁴.

الألوان في اللغة:

اللَوْنُ: هيئَةُ كَالسَّوَادِ وَالْحُمْرَةِ، وَلَوْنُهُ فَتَلَوَّنَ. وَلَوْنٌ كُلُّ شَيْءٍ: مَا فَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَالْجَمْعُ أَلْوَانٌ، وَقَدْ تَلَوَّنَ وَلَوْنٌ وَلَوْنُهُ. وَالْمَزْجُ: خَلْطُ الْمِزَاجِ بِالشَّيْءِ. وَمَزْجُ الشَّرَابِ: خَلْطُهُ بِغَيْرِهِ. وَمِزَاجُ الشَّرَابِ: مَا يُمَزَّجُ بِهِ⁵.

فَجَاءَ بِمِزْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسَ مِثْلَهُ * هُوَ الضَّحْكُ، إِلَّا أَنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ

مشكلة الدراسة:

تستمد مشكلة هذه الدراسة كينونتها وصيرورتها من خلال الألفاظ التي تتناول التعبير اللوني الذي ورد في بعض آي القرآن العظيم، ومن ثم تم ربط تلك الألفاظ بسلوكية الإدراك البصري لدى الإنسان (سلوكية الإدراك البصري وفلسفة التمازج اللوني في لغة الخطاب القرآني)، على اعتبار أن هناك رسالة متضمنة تحملها الرمزية اللونية التي جاء ذكرها من خلال ذكر الألوان في العديد من الآيات القرآنية.

الأهمية:

⁴/ أبو حيان التوحيد: الإمتاع والمؤانسة، ص: 157.

⁵/ ابن منظور: لسان العرب، مادة (ل و ن).

إن موضوع هذه الدراسة البحثية يرتبط باللفظ القرآني، وهذا في حد ذاته شرف يمنح هذه الدراسة مكانتها من حيث الأهمية، فضلاً عن الأهمية العامة التي تكتسبها جميع البحوث والدراسات العلمية والمعرفية.

الأهداف:

- ❖ دراسة الألفاظ القرآنية التي تناولت التباين اللوني في عدد من الآيات القرآنية.
- ❖ العمل على فهم رمزية التمازج اللوني ودلالاته الحسية البصرية.
- ❖ العمل على تفهم سيكولوجية الخطاب القرآني من خلال استخدام الألوان.

المنهجية:

تنبني هذه الدراسة اتباع المنهج الاستقرائي الاستنباطي، الذي يهتم بحشد البيانات من مصادرها، ومن ثم دراستها بشكل تصنيفي تحليلي من استنباط للحقائق بتحليل والدراسة، ثم التوصل إلى نتائج يقينية أو أقرب إلى اليقينية.

المبحث الأول: الإدراك الحسي البصري

يتميز الإنسان، من بين جميع الكائنات، بالقدرة على الإدراك العقلي وهي سمة خصه الله، تعالى، بها، فالإنسان قادر على الشعور بالمشاعر، الحسية والمعنوية، والتفاعل معها من خلال الجهاز العصبي الذي يعمل كوسيط ناقل بين خلايا الدماغ (المخ) وبين المشاعر أو المشاعر؛ الأمر الذي جعله الأكثر قدرة على الإدراك الحسي والمعنوي. والإدراك الحسي، في الإنسان، نجده على ضربين:

الإدراك الداخلي: كالجوع والشبع، العطش والارتواء، الإرهاق والراحة، المرض والصحة، التوازن الحركي، .. وغيرها من الإحساسات الشعورية الداخلية.

الإدراك الخارجي: ويعتمد على الحواس الخمس الظاهرة، إما عن طريق الحس المباشر والذي يتمثل في حاسي اللمس والتذوق، أو عن الإحساس غير المباشر، والذي نلمسه في بقية الحواس الثلاثة الأخرى، كالشم والسمع والبصر. وتنشط حاسة السمع من خلال استجابة الأذن للذبذبات والموجات الصوتية الخارجية عن طريق الاهتزازات التي تحدث للغشاء الرقيق الموجود داخل الأذن، ومن ثم تنتقل، بواسطة الجهاز العصبي، إلى المخ الذي يقوم بمهمة الإدراك. أما عملية الإبصار فهي تعتمد على العين التي تنعكس فيها الصور والرموز والأشكال .. والتي من بينها استقبال الألوان بدرجاتها الفيزيائية المتعددة والمختلفة، وحاسة البصر تقوم على التجسيم الحسي بشرط توفر قدر كاف من الضوء، إذ إن العين في العتمة لا تميز سوى السواد الحالك⁶. وقد مر التطور التاريخي لمفهوم الإدراك البصري

⁶/ كامل محمد عويضة: سيكولوجية العقل البشري، ص: 17، دار الكتب العلمية (بيروت)

بعده مراحل منها الفلسفي النظري ومنها النظرة العلمية التي تقوم على البحث والدراسة العلمية المعملية والتجريبية⁷:

❖ اعتقد إمبيدوقليز، وهو فيلسوف إغريقي من فلاسفة القرن الخامس قبل الميلاد، أن إبصار الألوان يحدث بوساطة جسيمات صغيرة جداً، تبعث بها الأجسام وتمر خلال العينين.

❖ ورأى الفيلسوف الإغريقي أفلاطون، في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد، أن إبصار الألوان يحدث بوساطة أشعة ترسل من العينين نحو الجسم.

❖ ومن المحتمل أن يكون أستاذ أفلاطون، أرسطو وهو فيلسوف إغريقي عاش في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، هو أول من أدرك وجود علاقة بين اللون والضوء. ومع ذلك، فلقد اعتقد هو أيضاً أن اللون يحدث بوساطة شيء شفاف يوجد بين الجسم والعين.

❖ واعتقد الطبيب الإغريقي جالينوس، المنسوب للقرن الثاني الميلادي، أن إبصار الألوان ينشأ من أشعة تصدرها العين وتعطي الهواء المحيط بها مقدرة لحمل صور متناهية الصغر للأجسام إلى العينين.

❖ أدرك الفيزيائي العربي أبو علي الحسن بن الهيثم، عاش في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، أن الإبصار يحدث نتيجة انعكاس الضوء من الأجسام إلى أعيننا، وقرر أن هذا الضوء المنعكس

⁷ / الموسوعة العربية العالمية، إصدار 2009م.

يَكُونُ صورًا بصرية في العين، كما أدرك أن الألوان التي نراها في الأجسام تعتمد على الضوء الذي يسقط على هذه الأجسام.

❖ أجرى العالم الإنجليزي السير إسحق نيوتن، عاش في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر الميلادي، عدة تجارب لبحث طبيعة الضوء، وأوضح عمليًا، باستخدام منشور، أن الضوء الأبيض يحتوي على كل ألوان قوس قزح.

وقد استخدم الإنسان، منذ فجر التاريخ، الفنون للتعبير عن أفكاره وحاجاته، المادية منها والنفسية، حيث عمل الإنسان، منذ أقدم العصور، على تنظيم الألوان على الأسطح بأساليب فنية مكنته من التعبير عن أنشطة ذهنية وأفكار عقلية، كانت كامنة في دواخله، عن الناس وعن العالم من حوله، وتلك اللوحات التي تولد وتتشكل بأيدي المشتغلين بالإبداع الفني لها أهمية عظيمة للإنسانية؛ فهي تمتع الإنسان وتمده بالكثير من البيانات، كما يستمتع الناس بمشاهدة اللوحات لأسباب متعددة: فقد يلفت جمال اللوحة الأنظار أو تناسق الألوان المستخدمة فيها، أو درجات توزيعها على اللوحة، بالإضافة إلى المضمون الذي تتضمنه اللوحة من مشاعر وأحاسيس وفكار يريد الفنان التعبير عنها كالخوف، أو الحزن أو السعادة أو المحبة، أو سحر وجمال الطبيعة. ويمكن أن تكشف اللوحة عن مشاعر الفنان الإبداعية عن مفهوم الموت، والحب، والدين، والعدالة الاجتماعية، والتاريخ والعادات وآمال السابقين ومشاعرهم، كما قد تنبئ اللوحة عن النمط المعماري، والملابس والأدوات وغيرها⁸. ويكفي أن نذكر هنا ما تركه قدماء المصريين، الفراعنة، مكتوبًا أو منقوشًا على جدران

⁸/ الموسوعة العربية العالمية الإصدار الأول 2004م.

آثارهم، فهو الذي أتاح لنا، اليوم وبعد مضي بضعة آلاف من السنين، أن نتعرف على أساليب حياتهم ومعيشتهم⁹.

وتعد اللغة من أخص السمات الإنسانية وأشدها التصاقاً بطبيعته ككائن اجتماعي يحتاج إلى التواصل، وقد نسب إلى أرسطو قوله "الإنسان حيوان ناطق"، أي أنه الكائن الوحيد القادر على ترجمة أفكاره ومشاعره وأحاسيسه إلى سلوك مفهوم للآخرين¹⁰. ولسنا هنا في معرض الحديث عن اللغة في صورتها اللفظية والصوتية بقدر ما نحن معنيون بتتبع سيكولوجية الإدراك البصري من خلال التمازج اللوني وما تحدثه الألوان في النفس البشرية من تأثيرات نفسية وفكرية عقلية.

وبهذا يمكن القول بأن اللغة، سواء أكانت لفظية منطوقة ومحكية أو رمزية إشارية (الفنون)، قد لعبت أعظم الأدوار في بناء الحضارات الإنسانية وتشكيل ثقافات الأمم والشعوب، غير أن الأنماط اللونية المختلفة والمتنوعة هي التي أبرزت الكثير من قدرات وإمكانات الإنسان العقلية والتي تجلت في ممارسته للفنون، لاسيما الفنون اللوحية الصامته، إلا أنه وبالرغم من صمت تلك اللوحات إلا أنها كانت أكثر قدرة على التعبير عن فلسفة الإنسان وأفكاره، أكثر حتى مما نطقت به الألسن من كلمات؛

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقَ الْبَشَرِ﴾^{١١} وَالْوَيْلُ لَكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿الرَّوم: ٢٢.

⁹/ جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص: 13، المجلس الوطني للثقافة

والفنون والأدب (الكويت) 1990م.

¹⁰/ نفس المصدر، ص: 11.

ربطت هذه الآية (الروم:22) العظمة والقدرة الإلهية بأعظم الآيات الكونية، أي خلق السموات والأرض، وقرنتها، في ذات الآن، باختلاف اللغات والألوان لدى بني آدم، وفي ذلك رمزية دلالية تشير إلى أهمية اللون كشيء مادي ملموس عبر الإدراك الحسي البصري أو رمزي للدلالة على الاختلافات المتعددة والمتنوعة في هذا لوجود: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُمْ كَذَلِكَ﴾ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ فاطر: ٢٨.

يقول القرطبي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ﴾، ﴿وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾ أي فيهم الأحمر والأبيض والأسود وغير ذلك، وكل ذلك دليل على صانع مختار. وقال: ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾ فذكر الضمير مراعاة لـ ﴿مِنْ﴾؛ ومن الناس ومن الدواب ومن الأنعام ما هو مختلف ألوانه، أي أبيض وأحمر وأسود.

ومهما سكبنا من مداد ونمقنا من عبارات، في وصف القرآن، فلن تكون إلا أقل مما يأخذه سم المحيط من المحيط، فقد اتصف القرآن العظيم بكل صفات الكمال والجلال، فلا نملك إلا القول، إنه القرآن وكفى؛ ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾﴾ الإسراء: ٨٨.

ويعد الإيجاز والاختصار من أبرز ما اتصف به اللفظ القرآني من قوة دلالية وقدرة خطابية وتعبيرية، الأمر الذي حباه وخصه بصفات لا

تحصى ولا تعد، فمن ذلك، مثلاً، الحديث عن حاستي السمع والبصر وما لهما من تأثيرات بالغة على الإدراك لدى البشر، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) الإنسان: ٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا نَقُفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) الإسراء: ٣٦.

والملاحظة الملفتة، في جميع الآيات القرآنية، هي أن لفظ (السمع) مقدم على لفظ (البصر)، بل وأكثر تكراراً، فقد تكرر (السمع) إحدى عشرة مرة بينما تكرر (البصر) ست مرات، ولعل السبب في ذلك، والله أعلم، يعود إلى الغلبة أي الغلبة العددية للسامعين بالأحداث وتواتر الوقائع التاريخية والاجتماعية، على أولئك النفر من الحضور وأصحاب الشهود البصري، وفي هذا دلالة مؤكدة على أن الذاكرة البصرية أكثر قوة ورسوخاً لدى الإنسان وأشد أثراً في النفس البشرية، بالإضافة إلى أن الشاهد هو بالضرورة سامع مما يجعله يتمتع بحاستي السمع والبصر معاً، واللذان يمثلان 81% في مجال قوة الأثر التعليمي وبقائه في الذاكرة، وقد جاء في الحديث "رب مبلغ أوعى من سامع"، ومما يروى، في هذا الصدد، أن أحد البسطاء قد طلب إلى ألبرت أينشتاين أن يشرح له نظرية النسبية، وهي نظرية عويصة على الفهم، حتى على العلماء ناهيك بالبسطاء، فأراد أينشتاين أن يشعره بصعوبة فهمه لها فقال له: إن مكفوفاً قد طلب إليه ذلك الطلب من قبل، وفي أثناء الشرح وردت عبارة "لون أبيض"، فقال الكفيف: أما اللون فأعرفه ولكن ما هو الأبيض؟ قال: كلون الحليب؟ فقال الكفيف وما هو الحليب؟ فقال: سائل أبيض، فقال: أما السائل فأعرفه،

ولكن ما هو الأبيض؟ قال: كلون ريش طائر البجع، فقال الكفيف: أما الريش فأعرفه ولكن ما هو البجع؟ فقال: طائر معقوف العنق، فقال الكفيف: أما العنق فأعرفه ولكن ما هو المعقوف؟ فأمسك بيده وثناها له. فقال الكفيف: الآن أدركت ما هو الأبيض أكمل الحديث. وتدل هذه الحكاية على أن فقدان حاسة البصر يفقد الإنسان القدرة على التخيل والتصور وبالتالي لا يمكنه إدراك المعاني التخيلية والتصورية التي تعتمد على الذاكرة البصرية.

إن معظم عمليات الإدراك البصري تتم بصورة تلقائية بين خلايا العين والخلاية الدماغية، وتكاد تكون لحظية عند تزويدها لنا بإبصار الألوان، وهي تعلمنا، دون أن نشعر، بأننا نرى آثاراً إبصارية معينة لهذه العمليات، لاسيما تلك العمليات التي تحدث عندما تتكيف أعيننا على الألوان، وقد تبدو لنا هذه الآثار مفاجئة أو مثيرة ومفزعة عندما ندركها، ومن الميسر توضيح آثار الإدراك البصري للألوان، والتي لا نراها طبيعية، بتجربة عملية بسيطة، خذ ورقة وقم بتغطية نصف صفحة من ورق ملون بألوان ساطعة بورقة أخرى، ذات لون أبيض ناصع، ثم اطل النظر للجزء الملون لنصف دقيقة أو أكثر قليلا، ثم أبعد الورقة البيضاء، فإن المساحة التي كانت غير مغطاة ستبدو أكثر سطوعاً من النصف الذي كان مغطى؛ مما يجعل تلك المساحة تبدو أكثر سطوعاً لأن أعيننا تتكيف (تتوافق وتعتاد) مع الألوان. ويسمى مثل هذا الأثر الإبصاري للألوان التكيف اللوني¹¹.

المبحث الثاني: رمزية الألوان ودلالاتها

¹¹/ الموسوعة العربية العالمية إصدار 2009م.

تحمل الألوان، في طبيعتها وبين ثناياها، دلالات مختلفة ورمزيات متعددة، لاسيما وأن دلالة اللون ورمزيته لا تتوقف على طبيعة اللون من حيث هو تكون فيزيائي، وإنما تتداخل مجموعة عوامل وخصائص نفسية (Psychology) واجتماعية (Social) وثقافية وفلسفية (Philosophy) فكرية (Notional) بل وحتى دينية عقدية (Religious)...، في تحديد وتفسير دلالة اللون ورمزيته، ويمكن أن نشهد الدلالة الدينية، بوضوح، في اللون الأحمر الساطع والمميز لرمز الهلال والصليب الأحمر، وهما يمثلان رمزاً لمنظمة طوعية تهتم بتقديم العون والخدمات الصحية والإنسانية للمتضررين من آثار الحروب والكوارث الطبيعية والتخفيف من معاناتهم البدنية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية.

تشيع الألوان في سائر أنحاء الكون الجمال، المادي الحسي والمعنوي النفسي، ويكفي العين حسناً وبهاءً تأملها لأشعة الشمس وهي تطل بأشعتها الذهبية وما تضيفه، على النفس، من مشاعر نفسية وأحاسيس جسدية متباينة من حيث الرؤى والإدراك الروحي والنفسي، ومن خلال لونها اللامع وهي تلوح بالوداع وتهتم بالرحيل في الأفق البعيد، حتى أن إبراهيم، عليه السلام، قد خال أنها رب هذا الوجود وهم بعبادتها؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [٧٨] الأنعام: ٧٨.

يهب اللون الأخضر الطبيعة بهجتها وسحرها وذلك حين تهلل الأرض بإطلالة الخريف التي تفتن الأنظار وتخلب الأبواب بما تنثره، على

الوجود، من سحر الطبيعة وجمالها الأخاذ بالاضرار الذي يكسو النبات والأزهار المتفتحة الأكمام، وتؤدي الألوان دورًا عظيمًا في الطبيعة؛ إذ إن الأزهار الفاقعة الألوان لعدد كبير من أكمام الأزهار المتفتحة تجذب إليها الحشرات الطائرة كالفراش والنحل وغيرها.. وهذا السلوم الغريزي الذي تؤديه الحشرات يؤدي مهمة جليلة وعظيمة في مضمار تلقيح الأزهار والأشجار؛ الأمر الذي تتفاعل معه النباتات فتنتج المزيد من البذور والثمار، كذلك تجذب الفواكه الزاهية الألوان، العديد من أنواع (Types) الطيور من أكلة الفواكه والتي تلفظ البذور وتطرحها في مخلفاتها التي تسهم، بشكل، كبير في عملية التسميد الطبيعي للتربة، ومن ثم تنبت هذه البذور أينما وجدت فيستفيد الإنسان والحيوان والحشرات من هذا السلوك الطبيعي حيث تنتشر النباتات المنتجة للفواكه انتشارًا طبيعيًا إلى مساحات جديدة، ونخلص من كل هذا إلى القول بأن الألوان تلعب دورًا عظيمًا في الحفاظ على الغطاء النباتي وحماية البيئة من الدمار. وفي الخريف تتجلى ألوان قوس قزح التي تتلألأ في الفضاء راسمة لوحة سماوية بديعة وزاهية الألوان؛ **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٠﴾﴾** الزمر: ٢١. **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥١﴾﴾** الحج: ٥.

وللألوان دور في غاية الأهمية بما تضيفه على الإنسان من جمال روحي وبما تدخله من بهجة وسرور نفسي، حيث ترى الكثير من الناس

يتأنقون في ألوان ملابسهم واختيارها بعناية تامة، كما يزينون منازلهم بالعديد من الألوان لإضفاء المزيد من الآثار الرائعة والأشكال الزاهية والتي تساعد على جلب السرور والمتعة للناظرين؛ الأمر الذي انعكس في أعمال المبدعين من الفنانين وجعل رسوماتهم أكثر واقعية وتعبيراً باختيارهم وترتيبهم للألوان بتمعن فني بديع، تماشيًا مع جمال الوجود الكوني؛ قَالَ

تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْٓ اٰدَمَ فَاَنْزَلْنٰ عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُّوْرِيْ سَوَءَ بَعْدِكُمْ وَرَدِيْشًا وَّلِبَاسًا اَلْقَوَىٰ ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِّنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ﴿٣٦﴾﴾ الأعراف: ٢٦.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْٓ اٰدَمَ فَاَنْزَلْنٰ عَلَيْكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا ۚ اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣٦﴾﴾ الأعراف: ٣١.

وللألوان مهام أخرى فهي، مثلاً، قد تقوم بمهمة الاتصال الإخباري، ويتجلى ذلك في ألوان الأزياء المتباينة التي يرتديها أفراد كل فريق في المنافسات الرياضية حيث تؤدي مهمة توضيح الانتماءات المختلفة للفرق المتبارية. كما تؤدي الألوان، في الطرق، مهمة تنظيم حركة المرور عبر الإشارات الضوئية المتعارف عليها عالمياً. ولها دور في مجال قراءة الخطر الملونة وتفسير ما ترمي إلى توضيحه للعين من خلال الألوان والرموز البصرية، وتعمل الألوان في مضمار التمييز الثقافي، سواء أكان ذلك على المستوى العرقي المحلي أو الإقليمي القاري أو العالمي.

أما في مضمار الحس والمشاعر فالألوان تقوم بدور الشارح والمترجم للحالات المزاجية فمن ذلك، مثلاً، "السوداوية" أي المزاج السيئ،

و"الابتسامة الصفراء" كتعبير عن الخبث وسوء الطوية، و"الدموية" للإشارة إلى العنف¹².

وتعمل الألوان على مساعدة بعض الحيوانات على التكاثف حيث أنها تقوم بمهمة جلب الذكور للإناث أو العكس، فالطاووس، مثلاً، ينشر ريشه ذا الألوان الساطعة الزاهية مغاللاً أنثاه، وتسهم الألوان في عمليات التخفي والحماية من خطر مداهة الأعداء، كما تستخدم الألوان، لدى بعض أنواع الحيوان والنبات، كفخاخ للإيقاع بالفرائس.

ويلعب التمازج اللوني، لدى الفنانين والمشتغلين بالفنون في شتى المجالات، الدور الأبرز والأهم في الاستمتاع بالهوايات، وهي مصدر البهجة والسرور النفسي، كما تعمل على تطوير الكثير من المهن الهندسية والدعاية وتصميم لعب الأطفال والأزياء وصناعة الديكور في المسارح والسينما والتلفزيون والمنازل وتخطيط المدن ... وغير ذلك كثير مما لا يتسع له المجال هنا. ومما لا شك فيه أن هناك العديد من الأسرار الإبداعية التي تنطوي عليها الألوان في هذا الكون، وإلا لما استخدمت بشكل واسع في آي القرآن العظيم¹³.

المبحث الثالث: الألوان في آي القرآن

لقد شكل الاستخدام اللوني حضوراً في عدد غير قليل من آي القرآن العظيم، وفي ذلك إشارات ضمنية أو صريحة للدور الذي تؤديه فلسفة استخدام الألوان كوسيلة تعبيرية ذات دلالات رمزية ولكنها، في ذات الآن، تملك القدرة على الإفصاح عن المعنى المراد توصيله إلى الأذهان

¹²/ الموسوعة العربية العالمية، إصدار 2009م.

¹³/ نفس المصدر.

والتعبير عنه بأسلوب رقيق ولطيف محبب إلى النفوس ومفهوم لدى العقول: **قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾** ^(٧٦) البقرة: ٦٩. **قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْكَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾** ^(٧٦) البقرة: ٧١.

تتحدث الآيتان (البقرة: 69، 71) عن التعنت الذي مارسه بنو إسرائيل حين طلب إليهم موسى، عليه السلام، أن يذبحوا بقرة، يقول ابن كثير، في تفسيره للآية 69: **﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾** قال: نقي لونها¹⁴. أما القرطبي فقال: قوله تعالى: **﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾** يريد خالصا لونها لا لون فيها سوى لون جلدها¹⁵.

ولم يكتف بنو إسرائيل بذلك الحد من التعنت بل لجوا في عتوهم فشدد الله عليهم وزادهم عنتاً ومشقة ورهقاً على ما فهم فيه من لاجاجة الحجّة والمماحكة، يقول القرطبي في تفسيره: **﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾** أي ليس فيها لون يخالف معظم لونها، هي صفراء كلها لا بياض فيها ولا حمرة ولا سواد، كما قال: **﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾**، وأصل **﴿شِيَةَ﴾** وشي حذف الواو كما حذف

¹⁴/ تفسير ابن كثير.

¹⁵/ تفسير القرطبي.

من يشي، والأصل يوشي، ونظيره الزنة والعدة والصلة. والشية مأخوذة من وشي الثوب إذا نسج على لونين مختلفين. وثور موشى: في وجهه وقوائمه سواد. قال ابن عرفة: الشية اللون. ولا يقال لمن نم: واش، حتى يغير الكلام ويلونه فيجعله ضروبا ويزين منه ما شاء. والوشي: الكثرة¹⁶.

النور والضياء:

ثمة صلة وطيدة وقوية تربط بين النور (الضياء) وبين الإدراك البصري، إذ إن حاسة البصر لا تستطيع أن تعمل، بشكل طبيعي، إلا في وجود قدر كاف من الضوء؛ فالضوء يمثل صورة من صور الطاقة، وله سلوك فيزيائي مشابه لسلوك الموجات من أوجه مختلفة، فللموجات الضوئية مدى من الأطوال الموجية، وهو عبارة عن البعد بين أي نقطتين متناظرتين في أي موجتين مختلفتين، إذ إن الموجات ذات الأطوال المتباينة تبدو لنظر بألوان متفاوتة من حيث الاختلاف. والضوء الذي يحتوي على كل الأطوال الموجية يبدو بنفس النسب، كضوء الشمس أبيض¹⁷؛ قَالَ
 تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
 الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
 لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي
 اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾
 النور: ٣٥.

¹⁶/ نفس المصدر.

¹⁷/ الموسوعة العربية العالمية، الإصدار الأول 2004م.

جاء في تفسير القرطبي، لهذه الآية (النور): النور في كلام العرب: الأضواء المدركة بالبصر، واستعمل مجازاً فيما صح من المعاني ولاح فيقال منه: كلام له نور. ومنه: الكتاب المنير، ومنه قول الشاعر:

نَسَبْتُ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى * نوراً وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُوداً¹⁸

والناس يقولون: فلان نور البلد، وشمس العصر وقمره. وقال النابغة الذبياني¹⁹:

فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ * إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبُ

وقال آخر:

هلا خصصت من البلاد بمقصد * قمر القبائل خالد بن يزيد

وقال آخر:

إذا سار عبد الله من مرو ليلة * فقد سار منها نورها وجمالها

فيجوز أن يقال: لله تعالى نور من جهة المدح لأنه أوجد الأشياء ونور جميع الأشياء منه ابتداءً وعنه صدورها وهو سبحانه ليس من الأضواء المدركة جل وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً²⁰.

الوجوه:

¹⁸/ ديوان محمد بن مسعود بن الطيب بن أبي الخصال، ص: 100

¹⁹/ ديوان النابغة الذبياني، ص: 5.

²⁰/ تفسير القرطبي.

جاء في الصحاح²¹: الْوَجْهُ معروف، والجمع الْوُجُوهُ. والوجهُ والجهةُ بمعنًى واحد، والهَاءُ عوضٌ من الواو. وعند ابن منظور²²، الْوَجْهُ: معروف، والجمع الْوُجُوه. وحكى الفراء: حَيَّ الْأُجُوهَ وَحَيَّ الْوُجُوه. ... وفي الحديث: أَنَّهُ ذَكَرَ فِتْنَةً كَوُجُوهَ الْبَقَرِ أَيِ يُشَبِّهُ بَعْضُهَا، ...، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ١١٥.

ويمثل الوجه، للعين المبصرة، السمة الأكثر تمييزاً لشخصية كل فرد، وسمات الوجه تختلف باختلاف الأشخاص؛ مما يجعل الناس يتعرفون على بعضهم البعض، والوجوه هي المرآة العاكسة لما يدور في خلجات النفس ويتردد في الصدور؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٥٤) آل عمران: ١٥٤.

وقد ربطت آيات القرآن بين ألوان الوجوه وصورتها ووصفتها ببعض السمات المميزة لها، في يوم البعث والحساب، فمنها ما يتصف بنضارة اللون والنضار، في اللغة هو الذهب، ويعلوها البشر وهي تطفر بالسرور وتطفح بالبشاشة والنعيم .. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) القيامة: ٢٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (٣٨) صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) عبس: ٣٨ - 39. قَالَ تَعَالَى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ (٢٤) المطففين: ٢٤.

²¹ الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري، ص: 147، مادة (و ج هـ).

²² ابن منظور: لسان العرب، مادة (و ج هـ).

أما الصنف الآخر من الوجوه فهي وجوه كالحة عابسة تبدو على سيماها ملامح التعب والإرهاق والعنت تكسوها الغبرة ويعلوها سواد اللون وزرقته، كأنها قطع من ظلمة الليل الحالك السواد؛ **قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يُؤْمِزُ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾** عبس: ٤٠.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ الزمر: ٦٠. **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهُقُهُمْ ذَلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن عَاصِرٍ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** يونس: ٢٧.

إن الوجه، في الإنسان، هو الوسيلة المعبرة عما يعتل في النفس فهو يعكس ما بداخل العقول وما يدور في الصدور من فرح وسرور ونعيم، أو هم وغم ورهق وعنت، من هنا كان استخدام التعبير القرآني للألوان للإفصاح عن طبيعة السلوك الداخلي للشخصية السعيدة فوصف سمات وجوه ذويها بأنها: ناضرة ومسفرة وعليها نضرة النعيم، أما الصنف الآخر من أصحاب النار فوصف لون وجوههم بالغبرة والسواد والظلمة، كدليل على شدة الكرب الذي يعانون منه؛ **قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾** (١٠٦) **وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وَجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** (١٠٧) آل عمران: ١٠٦ - ١٠٧.

وقد ورد في التفسير الميسر تفسيرًا لهتين الآيتين (أل عمران: 106-107): يوم القيامة تَبَيُّضُ وجوه أهل السعادة الذين آمنوا بالله ورسوله، وامتلأوا أمره، وَتَسْوَدُّ وجوه أهل الشقاوة ممن كذبوا رسوله، وعصوا أمره. فأما الذين اسودَّت وجوههم، فيقال لهم توبيخًا: أكفرتم بعد إيمانكم، فاخترتم الكفر على الإيمان؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم. وأما الذين ابيضَّت وجوههم بنصرة النعيم، وما بُشِّرُوا به من الخير، فهم في جنة الله ونعيمها، وهم باقون فيها، لا يخرجون منها أبدًا²³.

الْحَزَنُ:

الْحُزْنُ وَالْحَزَنُ، في اللغة، هو خلاف السرور²⁴. وكذلك الْحُزْنُ وَالْحَزَنُ، هو نقيض الفرح، وهو خلاف السُّرُور²⁵. أما من الناحية النفسية فالحزن هو سلوك تعبير يلوح على وجه ويشي بالحالة النفسية والمزاج السيئ لصاحبه حتى وإن حاول إخفائه إلا أن تعابير الوجه والعيون تفضح صاحبها وتفصح عما لا يريد أن يبوح به؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤) يوسف: ٨٤.

ويرى علماء النفس أن الإنسان قد يعاني نوعًا من العمی الهستيري، وهو نوع من العمی يحجب الرؤيا عن العين بالرغم من سلامة جميع أجزاء العين مع عدم وجود سبب عضوي للعمی، وهو يزول بزوال المؤثر النفسي (المثير الشرطي)، إلا أن حالة الحزن عند يعقوب، عليه السلام، فهي تمثل

²³ / التفسير الميسر.

²⁴ / الجوهري: الصحاح، مادة (ح ز ن).

²⁵ / ابن منظور: لسان العرب، ماد (ح ز ن).

إصابة بالعمى العضوي بدليل ذهاب سواد العين وتحوله إلى اللون الأبيض الذي يرمز، هنا، لشدة الألم وكثافة الحزن النفسي والتي تحولت إلى ما يسميه علماء النفس بالاضطرابات النفسجسدية (Psychosomatic)، وهي نوع من الاضطرابات العضوية إلا أن منشأها وسببها نفسي، وهو أيضًا يزول بزوال السبب.

الآيات:

الآية، لغة، هي العلامة²⁶، وهي، أيضًا، الدليل والبرهان والبيئة على صدق المدعي، وفي قول عمر، رضي الله عنه، (البيئة على من ادعى واليمين على من أنكر)²⁷.

استخدم الخطاب القرآني اللون الأبيض كآية بصرية مادية ملموسة لا يمكن للعين أن تكذبها، وتأتي الآية كدليل وبيئة تثبت صدق دعوى موسى، عليه السلام، أمام الفرعون: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾** الأعراف: ١٠٨.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَضْمَمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَى﴾ طه: ٢٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾ الشعراء: ٣٣. **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي ثَمَعِ ءَايَاتِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾** النمل: ١٢. **قَالَ تَعَالَى:**

²⁶ الجوهري: الصحاح (أ.ي).

²⁷ محمد بن خلف بن حيان (وكيع): أخبار القضاة، ص: 48.

﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَصْصَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنْ الرَّهْبِ فَذَنِّبَكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٣٢) القصص: ٣٢.

واستخدام اللون الأبيض، في الآيات السابقة، يرمز للسلام والموادعة والبعد عن العنف، وفي ذلك دلالة واضحة على أن العنف لم يكن من طباع موسى، عليه السلام، وهو الذي القوي من حيث البنية الجسدية وفوق ذلك مؤيد بالقوة الإلهية؛ ولكنه برغم كل ذلك فضل القول اللين على العنف؛ امتثالاً لقوله تعالى:

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ (٤٣) فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (٤٤) طه: ٤٣ - ٤٤.

غير أن الفرعون لم يفهم هذا السلوك المهادن من موسى، عليه السلام، وقابله بطبيعته الجبروتية العنيفة، فكان جزاءه الكثير من الرهق والعنت والغرق في خاتمة المطاف الدنيوي، والله، تعالى، أعلم بما يؤخره الله له في الآخرة.

كذلك يحمل اللون الأبيض، في جميع الثقافات والحضارات الإنسانية، رمزية الجمال والهياء والحسن.. ويمكن أن نتلمس ذلك من خلال الرسومات اللوحية للكائنات الغيبية، فنجد اللون الأبيض الذي يفيض بالتفاؤل النفسي ويطفح بالبشر والسعادة، حيث نلاحظ رمزية اللون الأبيض في الرسومات التجسيدية للملائكة وحتى الرسل وغيرها من الشخصيات التي تحظى بشئ من القداسة وقدر من التعظيم في العديد من الديانات والمعتقدات.

وعلى العكس مما يتضمنه اللون الأبيض من مشاعر موجبة مفعمة بالتفاؤل والمحبة .. نجد اللون الأسود والذي يستخدم في تجسيد صورة الشيطان والجان والذنان يرمز لها باللون الأسود بل والشديد السواد وفي ذلك دلالة سيكولوجية تعبر عما تكنه النفس البشرية للشياطين من شعور بالكراهية والبغض الدفين في أعماق كل فرد، ويكفي، هنا، نذكر ما أورده كل من المسعودي وابن خلدون في وصف ذوي البشرة السوداء من الناس، حيث يقول: وقد رأينا من خلق السودان (جمع أسود) ... الخفة والطيش وكثرة الطرب فنجدهم مولعين بالرقص ...، موصوفين بالحمق في كل قطر²⁸. وقد جاء في الحديث الصحيح لرسولنا الكريم قوله، صلى الله عليه وسلم: "إِنَّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ؛ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ؛ كُلُّكُمْ لِأَدَمَ وَأَدَمُ مِنْ تَرَابٍ، أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى"²⁹، والحديث يحث المسلمين على المساواة بين البشر، وهذا ما لم يدركه المستعمرون حين استخدموا السود كأرقاء واستعبدوهم لا لشيء إلا لسواد بشرتهم، وإذا نظرنا للرق في الإسلام نجد أنه لم يكن على أساس العرق ولم يرتبط، يوماً، باللون وإنما يكون الاسترقاق نتيجة حتمية للهزيمة في الحروب، ولا يوجد أي مصدر للرق في الإسلام سوى الأسرى الذين يتم أسرهم بعد خوض المعارك الحربية والإنصار فيها على الأعداء. وقد روي عن رسولنا الكريم، صلى الله عليه وسلم، "اسمعوا واطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، ما أقام فيكم كتاب الله تعالى"، وفي رواية أخرى: "اسمعوا واطيعوا وإن استعمل عليكم

²⁸ عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، كتاب التحرير، 1966م.

²⁹ البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر للنشر والتوزيع (بيروت) 1981م.

عبد حبشي أجدع³⁰، كذلك روي عن عمر، رضي الله عنه، أنه كان يقول: "أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا"³¹، وقال، حين حضرته الوفاة: "لو كان سالم مولى حذيفة حياً لوليت، أو ما دخلتني في ظنة"³²، فالتعدد في الأمم وسيلة للتعاون والتعارف، وليس بوسيلة للتنابذ والادعاء والتعصب للأجناس والتعالي بالعصبية³³. ومن الثابت والمتعارف، تاريخياً، أن الدين الإسلامي قد فتح الكثير من الأبواب لتحرير الرق في مقابل هذا الباب الواحد والمصدر الوحيد (أسرى الحروب فقط لا غير): **قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوا فَشُدُّوا الْوُثَاقَ فَمَا مِنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّبَلَا بَعْضِكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾** محمد: ٤.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِغْلَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا لِّبِتْنَعُوا عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ النور: ٣٣.

³⁰/ علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذهب، ص: 1711.

³¹/ عباس العقاد: الفلسفة القرآنية، ص: 34، نهضة مصر للطباعة والنشر (مصر) 2006م.

³²/ عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة بن خلدون، ص: 232.

³³/ عباس العقاد: الفلسفة القرآنية، ص: 34.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ ﴿٣٦﴾ النساء: ٣٦.

ولعل من أرفع وأجل الوصايا النبوية قوله، صلى الله عليه وسلم، وهو في لحظات الموت، "الصلاة وما ملكت أيمانكم"، حتى جعل يغرغر بها في صدره ولا يفصح بها لسانه³⁴.

الأرض:

هي إحدى الكواكب التي تدور في فلك المجموعة الشمسية، وهي مهيئة ومسخرة لحياة الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١٣﴾ الجاثية: ١٣. قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۚ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾ الحج: ٦٥.

والأرض، كما هي ملأى بالأنواع والأشكال المتباينة، فهي، أيضاً، مكتظة بالألوان التي ربما يصعب تتبع درجات اختلافها، واختلاف الألوان وتنوعها، في الآيات التالية، يمثل التنوع البيئي والحيوي الذي أوجده الله، تعالى، في

³⁴/ ابن كثير: الداية والنهاية، ص: 3578.

هذا الوجود بكامله وعلى سطح الأرض بوجه خاص، وفي هذا تتجلى، للعين المبصرة والعقل المستبصر، القدرة الإلهية الخلاقة المبدعة والحكمة الربانية العظيمة؛ **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾﴾** فاطر: ٢٧.

يقول القرطبي، في تفسيره: **﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ﴾** هو من باب تلوين الخطاب. "مختلفا ألوانها" نصبت "مختلفا" نعنا لـ "ثمرات". "...، **﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾** الجدد جمع جدة، وهي الطرائق المختلفة الألوان، وإن كان الجميع حجرا أو ترابا ...، وقيل: إن الجدد القطع، مأخوذ من جددت الشيء إذا قطعتة؛ ...، والجدة الخطة التي في ظهر الحمار تخالف لونه. والجدة الطريقة، والجمع جدد؛ قال تعالى: **﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾** أي طرائق تخالف لون الجبل. ومنه قولهم: ركب فلان جدة من الأمر؛ إذا رأى فيه رأيا. وكساء مجدد: فيه خطوط مختلفة، **﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾** ...، **﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾**، ومن الجبال سود غرابيب. والعرب تقول للشديد السواد الذي لونه كلون الغراب: أسود غريب. قال الجوهري: وتقول هذا أسود غريب؛ أي شديد السواد. وإذا قلت: غرابيب سود، تجعل السود بدلا من غرابيب لأن توكيد الألوان لا يتقدم. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبغيض الشيخ الغريب) يعني الذي يخضب

بالسواد³⁵. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل: ١٣).

جاء في تفسير القرطبي لهذه الآية (النحل): ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾، أي وسخر ما ذرأ في الأرض لكم. ﴿ذَرَأَ﴾ أي خلق؛ ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءا خلقهم، فهو ذارئ؛ ومنه الذرية وهي نسل الثقلين، إلا أن العرب تركت همزها، والجمع الذراري. يقال: أنى الله ذرأك وذرؤك، أي ذريتك. وأصل الذرو والذرة التفريق عن جمع، قوله تعالى: ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾، و ﴿أَلْوَنُهُ﴾ هيئاته ومناظره، يعني الدواب والشجر وغيرها. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي في اختلاف ألوانها. ﴿لَآيَةً﴾ أي لعبرة. ﴿لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي يتعظون ويعلمون أن في تسخير هذه المكونات لعلامات على وحدانية الله تعالى، وأنه لا يقدر على ذلك أحد غيره.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَنْفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٦٩).

³⁵/ تفسير القرطبي.

جاء في تفسير ابن كثير³⁶ لهذه الآية (النحل: 69): وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ

بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾.

ولعل القصد من ذلك التنوع الحيوي والبيئي هو اظهار القدرة والعظمة الإلهية في هذا الكون؛ وذلك حتى يتفكر الناس في ما تبصره أعينهم ولتدرك عقولهم الهدف السامي الذي من أجله خلقوا وأوجدوا في هذا الوجود المترامي الأبعاد والمساحات والمتعدد من حيث التنوع والإختلاف، الذي يدعو العقل البشري إلى التأمل والتفكير والتدبر .. للوصول إلى الإيمان بوجود الله الواحد الأحد والخالق لهذا الكون والمسيطر عليه والمتحكم في حركته وسكونه والقادر على بعث الموتى ومحاسبتهم على أفعالهم؛ يقول تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْوَفُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥٠﴾ الْحج:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ طه: ١٠٢.

³⁶/ تفسير ابن كثير.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مُخْرِجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾
الأنعام: ٩٩.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعَ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾ ق: ١٠.

الأحلام:

هي الرؤى المنامية التي تتراءى للنائم في أحلامه وكأنها حقيقة ماثلة للعيان، وجاء في الأثر قوله صلى الله عليه وسلم، "الرؤيا من الله والحلم من الشيطان"، وجاء في صحيح البخاري، عن عائشة، رضي الله عنها أنها قالت: "أول ما بدئ به رسول، صلى الله عليه وسلم، من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"³⁷. والرؤى المنامية تحمل في طياتها رسالة أو مضمون يحتاج إلى تعبيره والكشف عن مضمون ما تحتويه الرسالة، وقد تكون الأحلام أشبه بالأطغاث التي لا تفسر لها، وقد تمثل رؤيا ذات رسالة واضحة المعالم لمن يتمكن من فك طلاسمها وفهم رموزها؛ يقول تعالى في سورة يوسف³⁸: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ

الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ

³⁷/ البخاري، أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، صحيح البخاري،

دار الفكر للنشر والتوزيع (بيروت) 1981م.

³⁸/ إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية، ص: 447.

سُئِلَتْ خُضْرٍ وَأُخْرَىٰ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي رُءُوسِهِ إِن كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا
تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَصْغَتْ أَحَلِيمٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ
الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا
الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ
سُئِلَتْ خُضْرٍ وَأُخْرَىٰ يَأْتِيهَا لَعَلٌّ أَرْجَعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ
﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ
﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾ ﴿يوسف: ٤٣ - ٤٩﴾

وأبرز ما يلفت النظر ويشد الانتباه في الآية (يوسف: 43) هو اللون
الأخضر الذي استخدم باعتباره رمزًا للخير والنماء، حيث عبر اللون
الأخضر، في السنبال، عن سنوات الخير ونماء الزرع ووفرة الضرع، أما
تحول اللون الأخضر إلى اليباس الجاف فقد دل على السنوات العجاف وما
اشتملت عليه من جفاف الزرع وقلة الضرع.

يوم القيامة:

يتصف هذا اليوم بالكثير من الأحوال التي يحار القلم في وصفها،
ويعجز اللسان عن الحديث عنها؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ
وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ ﴿٣٧﴾ الرحمن: ٣٧.

جاء في تفسير هذه الآية (الرحمن: 37) في تفسير ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ أي تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها، فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم³⁹.

على الرغم مما في التمازج اللوني من دلالة على الحسن والروعة والتنوع الجمالي، إلا أنه، أي التمازج اللوني، في هذه الآية يشير، بوضوح، إلى عظم الموقف واضطراب النفوس خوفاً وهلعاً من تلك الألوان البراقة التي اكتست بها السماء في ذلك اليوم وتلك الساعة الرهيبة والشديد الرعب. الشاعر⁴⁰:

تمازج لهيب النار بالدم عندهم * وفار لهيب النار بالدم مزبدا
الجزاء:

ورد في اللسان⁴¹، الجزاء: المُكَافَأَةُ على الشيء، جَزَاهُ به وعليه جَزَاءٌ وجازاه مُجَازَةً وَجِزَاءً؛ وقول الحُطَيْئَةِ:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ * لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

الجزاء يكون ثواباً ويكون عقاباً. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ

كَذِبِينَ﴾ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴿يُوسُفُ: ٧٤ - ٧٥.

³⁹/ تفسير ابن كثير.

⁴⁰/ ديوان فخري أبو السعود، ص: 1.

⁴¹/ بن منظور: لسان العرب، مادة (ج ز أ).

لقد كان اللون الأخضر، في الحياة الدنيا، رمزًا يشي عن خلجات النفس وما بداخلها من شعور بالجمال والتفاؤل، وكذلك يشير اللون الأخضر إلى كثرة النماء والرخاء والوفرة.. وغيرها من الدلالات ؛ يقول تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (٦٣) الحج: ٦٣.

وأيضًا، في الحياة الآخرة، سيكون للون الأخضر رمزيته الخيرة ودلالته السعيدة للمؤمنين الذين سيفرحون بما هو مدخر لهم من ثواب أخروي؛

قَالَ تَعَالَى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي حَسَانٍ﴾ (٧٦) الرحمن: ٧٦. قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (٢١) الإنسان: ٢١.

وقد جاء في تفسير الآية (الإنسان: 21) في التفسير الميسر: يعلوهم ويجمل أبدانهم ثياب بطائنها من الحرير الرقيق الأخضر، وظاهرها من الحرير الغليظ، ويحلّون من الحليّ بأساور من الفضة، وسقاهم ربهم فوق ذلك النعيم شرابًا لا رجس فيه ولا دنس.⁴²

ونلمح في الآية، بالإضافة إلى اللون الأخضر، لونًا براقًا آخر هو اللون الفضي أو لون الفضة وهو من الألوان التي تحمل أنقى درجات اللون الأبيض وهو رمز للسلام والمحبة، في الحياة الدنيا، وأيضًا في الحياة الآخرة للون الأبيض دلالاته الجمالية والتي تبعث في النفس الرضا الفرح والسرور بما أفاضه الله على المؤمنين من النعم التي لا تنفذ ولا تنقضي؛ قَالَ تَعَالَى:

⁴²/ التفسير الميسر.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيَّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾﴾ الصافات:

٤٥ - ٤٦. قَالَ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٦﴾﴾ الصافات: ٤٩.

وقد جاء في تفسير الآية (الصافات: 46) في الجلالين: (بيضاء) أشد بياضاً من اللبن (لذة) لذيدة (للشاربين) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريمة عند الشرب. والآية (الصافات: 49): (كأنهن) في اللون الأبيض (بيض) للنعام (مكنون) مستور بريشه لا يصل إليه غبار ولونه وهو البياض في صفرة أحسن الألوان النساء⁴³.

العقاب:

إن النفس الإنسانية الممتلئة بالإيمان اليقيني لا يتطرق إليها أي قدر من الشك ولا تداخلها أدنى درجة من درجات الريبة في أن الموت حقيقة يقينية ثابتة، وأن الله سيبعث الموتى من قبورهم وسيثيب المؤمن المحسن على إيمانه، ويعاقب الكافر المسيئ على تكذيبه باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْظِلُونَا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٣١﴾﴾

أَنْظِلُونَا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظِلِّيلَ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي

بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صَفَرٌ ﴿٣٣﴾ المرسلات: ٢٩ - ٣٣.

وجاء في التفسير الميسر لهذه الآيات (المرسلات: 29-33): يقال للكافرين يوم القيامة: سيروا إلى عذاب جهنم الذي كنتم به تكذبون في الدنيا، سيروا، فاستظلوا بدخان جهنم يتفرع منه ثلاث قطع، لا يُظِلُّ ذلك

⁴³/ تفسير الحلالين.

الظل من حر ذلك اليوم، ولا يدفع من حر اللمب شيئاً. إن جهنم تقذف من النار بشرر عظيم، كل شرارة منه كالبناء المشيد في العظم والارتفاع. كأن شرر جهنم المتطاير منها إبل سود يميل لونها إلى الصُّفرة⁴⁴.

وفي تفسير الجلالين لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾ (٣٣) المرسلات:

٣٣. ﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ﴾ جمع جمالة جمع جمل وفي قراءة جمالة ﴿صُفْرٌ﴾

﴿في هيئتها ولونها وفي الحديث شرار النار أسود كالقير والعرب تسمي سود الإبل صفرا لشوب سوادها بصفرة فليل صفر في الآية بمعنى سود لما ذكر وقيل لا والشر جمع شرارة والقير القار.

واللون الأصفر في الآية (المرسلات: 33) يمثل علامة ودلالة رمزية تشير إلى البريق واللمعان وهو أشبه بلهب النار في ظلمة الليل الذي يزيد في ظهوره وبريقه، وهو دلالة على شدة الوضوح للادراك البصري، وقد استخدم اللون الأصفر في بعض آيات سورة البقرة التي مضى الحديث عنها والإشارة إليها في ما سبق من حديث. يقول

الوقت:

يشكل مفهوم الوقت، والزمن بشكل عام، أهمية قصوى في الدين الإسلامي الذي أولى حركة النجوم والكواكب وسائر الأفلاك والأجرام السماوية، الكثير من الاهتمام والعناية، ووصف حركتها بقدرتها متناهية الضبط؛ ويعود ذلك لارتباط الطقوس التعبدية، في الإسلام، بحركة الزمن من حيث التوقيت الزمني السنوي، ومن خلال حركة الشمس الظاهرية في

⁴⁴/ التفسير الميسر.

التوقيت اليومي؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ
مَنْ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ
الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ
تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ البقرة: ١٨٧.

جاء في تفسير الجلالين: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ﴾ يظهر ﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ
الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أي الصادق بيان للخيط الأبيض وبيان الأسود محذوف
أي من الليل شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخيطين
أبيض وأسود في الامتداد⁴⁵.

يشير استخدام اللون الأبيض، في الآية (البقرة: 187) إلى بداية اليوم ومن
ثم ظهور تباشير ضوء الشمس، أما اللون الأسود فيعني بداية دخول الليل
وحلول الظلام، إذ إن اليوم، في التقويم القمري، يبدأ بانبلاج الفجر وينتهي
بغروب الشمس حيث يبدأ الليل بحلول الظلام، وقد ورد في التفسير
الميسر: حتى يتبين ضياء الصباح من سواد الليل، بظهور الفجر الصادق،

⁴⁵ نفسير الجلالين.

ثم أتموا الصيام بالإمساك عن المفطرات إلى دخول الليل بغروب الشمس⁴⁶.

وربما كان في تنافر اللونين الأبيض والأسود دلالة بصرية ملموسة ومحسوسة للعين المبصرة حتى لا يختلط عليها الأمر، لاسيما في شهر رمضان الذي يمثل الركن الرابع من أركان الإسلام، ويرتبط ظهور اللون الأبيض بصلاة الفجر؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (٧٨) الإسراء: ٧٨.

الخاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى إضفاء المزيد من الأهمية على الرمز اللوني؛ وذلك من خلال استخدامها كمفردات لغوية تكرر ورودها في العديد من أي القرآن العظيم، وكتنبهات حسية ومعنوية لافتة للإدراك البصري، وقد حملت تلك التنبيهات، في طياتها، العديد من الرسائل العقلية الفلسفية والمعنوية النفسية، لعلها تبعث العقل البشري على التفكير والتدبر.. ليدرك المعاني الروحية السامية التي حملتها الأصباغ اللونية من إشارات نفسية ودلالات حسية اتسمت بكثير من البلاغة اللفظية والوضوح؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الروم: ٢٢.

الاستنتاجات:

⁴⁶/ التفسير الميسر.

❖ إن الألوان وما اتسمت به من اختلافات وتباينات، إنما هي آية من آيات الله، تعالى، تريد أن تلفت الأنظار إلى القدرة الربانية والعظمة الإلهية في هذا الوجود.

❖ لا توجد ثمة علاقة بين الرق والاستعباد، في الإسلام، وبين لون بشرة الإنسان أو عرقه، إذ لم يتم استرقاق شخص بسبب سواد لون بشرته. وهذا الفضل، هو ابن العباس بن عتبة بن أبي لهب كان من شعراء الهاشميين وفصحائهم توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك وكان طويلاً آدم اللون، حكى أن الفرزدق مر به يوماً وهو ينشد مفتخراً⁴⁷:

وأنا الأخضر من يعرفني * أخضر الجلدة من بيت العرب

من يساجلني يساجل ماجدا* يملأ الدلو إلى عقد الكرب

يعني بالخضرة آدم اللون، والعرب تفتخر بأنها سمر وسود. والأخضر، عند العرب، هو الكثير الخصب، أيضاً.

❖ الألوان كالأنغام اللحنية في مضممار الموسيقى تستشعر نغماتها الأذان وتطرب لها الأرواح، وكذلك الألوان فهي تمتلك قيمتها الجمالية التي تدركها الأبصار وتحسها النفوس وتثير الفكر الروحي المتسامي؛ الأمر الذي يجعلها تحلق عالياً في فضاء لا متناه من الفرح والسرور اللا عقلي والذي يسموا ويتعالى على الوصف الحسي.

⁴⁷/ محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري: الأضداد في اللغة، ص: 268.

❖ استخدم الخطاب القرآني الرمزية اللونية في مواضع مختلفة ومتضادة للدلالة على ما تكنه النفوس وتخفيه الصدور من مشاعر وأحاسيس فردية وشخصية، وذلك من أجل التعبير عن أسرار النفس البشرية ومكنوناتها في حالات الرضا والقبول، وحالات السخط والغضب، وهي جملة مشاعر عاطفية لا يعلمها إلا الخالق، جلّ في علاه؛ يقول تعالى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ١٤ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ ١٥
﴿الملك: ١٤ - ١٥﴾

مصادر الدراسة:

- القرآن العظيم.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل بن منظور الإفريقي: لسان العرب. www.arpeotry.com
- أبو حيان التوحيدى، علي بن محمد بن العباس: الإمتاع والمؤانسة. www.arpeotry.com
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه: البداية والنهاية.
- البخاري، أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر للنشر والتوزيع (بيروت) 1981م.
- تفسير ابن كثير، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، مكتبة التوفيقية (مصر).
- تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي،
- جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت) 1990م.
- الجوهري: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح في اللغة. www.arpeotry.com
- ديوان النابغة الذبياني. www.arpeotry.com
- ديوان فخري أبو السعود. www.arpeotry.com
- ديوان محمد بن مسعود بن الطيب بن أبي الخصال. www.arpeotry.com

- ديوان نصر الدين بن أحمد بن بن مأمون www.arpeotry.com
- عباس العقاد: الفلسفة القرآنية، نهضة مصر للطباعة والنشر (مصر) 2006م.
- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، كتاب التحرير، 1966م.
- علي بن محمد بن الرضا (ابن دفتر الأخوان). www.arpeotry.com
- علي بن الحسين بن علي المسعودي: مروج الذهب. www.arpeotry.com
- القرطبي، شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي: الجامع لأحكام القرآن الكريم.
- كامل محمد محمد عويضة: سيكولوجية العقل البشري، دار الكتب العلمية (بيروت) 1996م.
- محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري: الأضداد في اللغة. www.arpeotry.com
- محمد بن خلف بن حيان (وكيع): أخبار القضاة. www.arpeotry.com
- مظهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ. www.arpeotry.com
- الموسوعة العربية العالمية، الإصدار الأول 2004م.